يَبْرين

واحة كبيـرة كثيرة المياه، تـقع عند الطرف الشمالي الغربي من صحراء الربع الخالي بالمـنطقة الشرقـية، على مسافـة ١٠٠كم إلى الجـنوب من قرية حرض في المنطقـة الشرقية، على خط الـطول ٥٩َ ٤٨ْ شرقـاً ودائرة العـرض ١٥َ ٢٣ْ شمالاً. وهي اليوم واحة منخفضة تمتد بطول ٣٠كـم تقريبـاً من الشمـال إلى الجنوب وبعرض ١٥كم من الشرق إلى الغرب. وتنتشر فـي أجزاء مختلفة من وسط الواحة مجموعات كثيفة من أشجار النخيل المهمـلة التي لا تُسقى بانتظام، بل تعتمد على المياه الجوفيـة القريبة من سطح الأرض. وقـد قامت في يـبرين هجرة يسكنها فرع من قبيلة آل مرة الذين استقروا فيها في القرن العشرين الميلادي بعـد أن كانوا يأتـون إليها فـي مواسم الصيف. وتتميز الواحة بكثرة المياه الجوفية التي تظهر على سطح الأرض في بعض أجزاء الواحة الأكثر انخفاضاً.

ذكرت يبرين في المصـادر التاريخية والجغرافية والأدبية القديمة، كما نسـبت إليها فـي الماضي الأجزاء الشمالـية من الصحراء الـعربية المعروفـة حالياً الربع الخالي إذ كانت تسمى رملة يبرين. وممن ذكرها الحـربي (ت ٢٨٥هـ) في كـتابه المناسك، حين أشار إلى وجود منبرين، دلالة على وجود قريتين تقام فيهما صلاة الجمعة، كل واحدة على حدة. وذكرها الهمداني في (القرن الرابع الهجري) في صفة جزيرة العرب وذكر كثرة نخيلها. وذكرها كذلك معـظم من جاء بعدهما من الجغرافيين.

وتشيـر المسوحات الآثـارية إلى أن يبرين والمنطقة المحيطة بها كانت مأهولة بالـسكان منـذ أواخر العصـر الحجري الحديث، وجد بها من الشواهد الأثرية

ما يؤيد ذلك. فقد سجلت بعثة الآثار الدانمركية، التي زارت المنطقة في أواخر شهر مارس من سنة ١٩٦٨م، مجموعة من المواقع الأثرية التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ. كما سجلت وجود عدد كبير من المقابر القديمة التي يعتقد أنها تعود للعصر البرونزي (الألف الثالث والثاني قبل الميلاد) وقامت بحفر اثنتين منها. ومن أهم المعثورات التي تعود لعصور ما قبل التاريخ مجموعة من الأدوات الحجرية، بينها شفرات (سكاكين) وحراب ورؤوس رماح ورؤوس سهام صنعت من الصوّان أو من الكوارتز الأسود، وجدت في جبل ضبع في أقصى جنوب الواحة، وفي جبل مخروق جنوب غرب الواحة، وفي عين الطوير في شمال الواحة. كما وجدت قطع قليلة حول الموقع الإسلامي أم الرماديات الواقع على بعد ثلاثة كيلومترات شمال غرب القرية القائمة في الواحة.

وظهر من جراء المسوحات الآثارية الأخرى التي تمت في المنطقة وجود استيطان إسلامي في واحة يبرين خلال فترات متقطعة، أقدمها كان في الموقع المعروف المسمّى غبة يبرين الشمالية الواقع على الأطراف الشمالية الشرقية للقرية القائمة حالياً. ويعتقد أن هذا الموقع كان مأهولاً في فترة ما بعد القرن الثاني الهجري إلى نهاية القرن الرابع الهجري. ولم يبق من الموقع، الذي تكسوه الرمال وشجيرات الرمث، سوى آثار غير واضحة المعالم لأساسات غرف ومنازل مبنية بالطين واللَّبِن. بالإضافة إلى بعض الكسر الفخارية الرديئة التصنيع، وتوجد منها أعداد قليلة منتشرة على سطح الموقع.

وأما في موقع أم الرماديات فتوجد بعض أجزاء من الجدران الطينية، وكشف فيه عن بعض المعثورات الأثرية المنتشرة فوق سطح الموقع من كسر الفخار غير المطلي، محلي الصنع وكسر كثيرة لأساور زجاجية ملونة، وسبق الحديث عنها في موقع الرَّمَادِيَّة.

يَلَمْلم

يلملم من المواقع التاريخية التابعة لمنطقة مكة المكرمة، على خط الطول ٠٨ َ ٤٠ ْ شرقاً ودائرة العرض ٥٠ َ ٢٠ ْ شمالاً، وهو ميقات أهل اليمن عند أكثر الجغرافيين، ولم يشذ عنهم إلا ابن رسته الذي يذكر أن ميقات أهل اليمن هو قرن المنازل. ويفهم من كلام ابن رسته أنه يقصد أولئك الحجاج اليمنيين مِمَن

يسلكون الطريق العليا التي تمر عبر الطائف. أما يلملم فهو ميقات أهل اليمن الذين يسافرون إلى مكة عبر الطريق الداخلية والساحلية، وكلا الطريقين بين البحر والجبل، ولا بد من مرورهما بيلملم. ويؤيد هذه الحقيقة ما يذكره مؤرخ اليمن الهمداني، من أن يلملم هي ميقات أهل تهامة، أي أنه استثنى أهل نجد من المرور بيلملم، لأن طريقهم الطبيعي إلى مكة المكرمة هي الطريق العليا. كما أنّ البكري يورد شيئاً قريباً من ذلك عندما يذكر أن يلملم في طريق اليمن إلى مكة المكرمة، وهو ميقات لمن حج من هناك.

إلا أن اسم يلملم لا يعني موقعاً محدداً بعينه، وإنما يطلق على واد كبير يستمد سيوله من جبال الطائف، ثم تنحدر في اتجاه الجنوب الغربي لتصب في البحر الأحمر. ويُعَدّ الوادي كله ميقاتاً لمن يسكن وراءه أو يمر به من الحجاج في طريقهم إلى مكة المكرمة. سواء أكانوا من اليمن أم من غيره. غير أنه لا يعرف، على وجه التحقيق أين كان موقع يلملم القديم، أو المكان الذي كان محطة للحجاج قبل العصر الحاضر.

وقبل الإجابة عن هذا السؤال لا بد من الإشارة إلى أن الموقع المعروف إلى قبيل نهاية القرن الهجري الماضي هو موقع السعدية إحدى قرى وادي جازان. ثم حل محلها الموقع المعروف باسم الميقات الجديد، الواقع على الطريق المسفلت بين مكة المكرمة وجازان. وهذا الموقع الأخير -بلا شك- موقعٌ جديد، لم يمض على وجوده إلا سنوات قليلة. فماذا عن السعدية، وهل كانت هي نفسها موقع الميقات القديم، أم أنها موقع آخر نشأ في عصور متأخرة؟. ليس لدينا دليل ينفي ذلك أو يثبته، سوى أنها كانت معروفة في المصادر التاريخية منذ القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وبها بئر روية المشهورة، وتعد من أكثر آبار المنطقة اتساعاً، وبالقرب من بئر روية بئر أخرى تعرف باسم الغامدية. كل ذلك يحمل على الاعتقاد بأن السعدية كانت إحدى المحطات التي تقع بوادي يلملم على فرع من فروع طريق الحج اليمني إلى مكة المكرمة، إلا أن هناك من الأدلة الأثرية والطبيعية ما يرجح وجود مكان آخر، يقع إلى الشرق من السعدية بحوالي ٥٠كم، ويعرف كذلك باسم يلملم، وأهم القرى المعروفة فيه، في الوقت الحاضر، مركز وُدْيَان، المركز الإداري لوادي يلملم من الشرق. وهي قرية صغيرة أغلبية سكانها من قبيلة فَهْم

رسوم صخرية ومخربشات من يلملم على طريق الحج والتجارة اليمني

المعروفة، ويليها من الغرب الجحادلة، وهي فرع من قبيلة حرب المعروفة أيضاً.

تقع وُدْيَان شمال وادي يلملم على رافد باسمها ينتهي في وادي يلملم، وإلى الغرب قليلاً من وديان، وعلى مسافة حوالي ٥كم، وجد على حافة الوادي من الأدلة ما يقوي الاعتقاد بأن هذا الموقع كان أحد المحطات على طريق الحج والتجارة من اليمن إلى مكة المكرمة من عصور ما قبل الإسلام حتى العصور الحديثة. وتتمثل أهم هذه الأدلة في وجود غَيْل (ماء دائم الجريان) في هذا الجزء الذي يشكله امتداد وادي يلملم، وكذلك وجود مظلات من الصخور الكبيرة (سقائف) تمتد تحت سفوح الجبال الواقعة على ضفتي الوادي، وتنتشر في مواقع متفرقة من ذلك المكان، وتتسع تلك المظلات لأعداد كبيرة من الناس، ويعتقد بأنها كانت تتخذ للراحة، والاستظلال بظلها في أوقات الهواجر عندما تناخ القوافل بتلك المحطة. يضاف إلى ذلك وجود أعداد كبيرة من الكتابات والمخربشات والرسوم القديمة فوق تلك الصخور التي تتكون منها المظلات، وفي

نقوش صخرية إسلامية على طريق الحج اليمني الوسطى وعلى يمين اللوحة رسم صخري لحيوان – يلملم

أعراض الجبال القريبة منها. وتعود بعض تلك الكتابات أو المخربشات إلى عصور ما قبل الإسلام، ويعود بعضها إلى العصور الإسلامية. وقد وجدت جنباً إلى جنب مع بعض الكتابات الإسلامية المتأخرة، مما يدل على طول ارتياد القوافل لهذا الموقع.

ومن هنا يمكن القول إن هذا الموقع هو أقدم محطة في وادي يلملم على الطريق اليمني إلى مكة المكرمة، وإنه ربما كان الميقات الرئيسي للحجاج القادمين من اليمن ومن غير اليمن من أهالي تلك الجهات، قبل السعدية، وإن السعدية قامت بعده بسبب تحول في طريق الحج والتجارة إلى الغرب من هذا المكان، ويؤيد هذا القول عدم ذكر السعدية في المصادر العربية قبل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) كما قدمنا.

ينبع

تقع ينبع شمال غرب المملكة إلى الغرب من المدينة المنورة، على خط الطول ٢٥َ ٣٨ْ شرقاً ودائرة العرض ٢١َ ٢٤ْ شمالاً بمنطقة المدينة المنورة. ويطلق اسم ينبع في كتب الجغرافيين المسلمين على ما يعرف اليوم باسم ينبع النخل. وكانت ينبع واحة كبيرة في أرض جهينة أقطع فيها الرسول ﷺ كشد بن مالك الجهني إقطاعاً، آلت ملكيته بالشراء إلى علي بن أبي طالب #، الذي ضم إليه إقطاعات أخرى بالمكان نفسه. وكانت تتكون من مجموعة من القرى، اشتهرت منها العشيرة، التي سميت بها غزوة العشيرة، والبغيبغة، وهي من عيون علي #، والبليد التي كانت قرية لآل علي، وسويقة التي كانت أشهر قرى ينبع. وقد وصف المقدسي ينبع في نهاية القرن الرابع

كتابة إسلامية من ينبع

الهجري فقال إنها «كبيرة جليلة، حصينة الجدار، غزيرة الماء، أعمر من يثرب، وأكثر نخلاً» (١٩٨٧: ٨٣).

وتوجد بعض الآثار بينبع النخل وهي ترجع إلى العصور القديمة السابقة للإسلام، وإلى الفترة الإسلامية المبكرة. ومن أبرز الآثار الإسلامية الظاهرة بينبع النخل، قنوات المياه تحت الأرض، وأطلال القرى الزراعية والحصون القديمة والنقوش الكوفية.

أما ينبع البحر فقد عرفت في المصادر باسم ساحل ينبع، وكانت خلال الفترة الإسلامية المبكرة مرسى لواحة ينبع النخل، ولم يكتسب الموقع شهرة كبيرة بسبب وجود ميناء إلى جواره. ومرسى ينبع البحر هو ساحل بولا الذي رست فيه السفينتان اللتان أقلتا أصحاب رسول الله ﷺ العائدين من الحبشة. وبولا هي إحدى عيون قرية العشيرة بينبع النخل، وتقع قريباً من الساحل. وبعد اندثار ميناء الجار في القرن السادس الهجري أصبح مرسى ينبع ميناء المدينة المنورة الرئيسي، وقد اهتم به الأيوبيون وبنوا فيه قلعة حصينة. وخلال العصرين التاليين المملوكي والعثماني ازدهرت الحياة بينبع البحر وكثرت فيها المنازل المتعددة الأدوار ذات الرواشين والواجهات الخشبية الجميلة. وأحيطت المدينة سنة ٩١٥هـ بسور في عهد السلطان المملوكي قانصوة الغوري، وقد هدمه شريف مكة سعد بن زيد سنة ١٠٧٩هـ، ثم جدده عثمان آغا قائمقام ينبع سنة ١٢٢٦هـ، ثم استبدل به سور ثانٍ سنة ١٣٠٣هـ أحاط بجميع أحياء ينبع التي تعدت نطاق السور الأول، وقد هدم السور سنة ١٣٧٥هـ. وكانت ينبع البحر تتكون من ستة أحياء، يعرف كل منها باسم المحلة وهي: محلة اسور، ومحلة الخريق، ومحلة عبس، ومحلة الصعايدة، ومحلة القاد، ومحلة المنجارة.